

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نتابع اليوم دراستنا لرسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في غلاطية، حيث عالج الرسول بولس مشكلة هامة واجهت الكنيسة عند نشوئها. أما هذه المشكلة فكانت علاقة المؤمنين في المسيح بالشرعية، أي بالناموس الذي أنزله الله قديما على كليمة النبي موسى. وإن كان يجب عليهم لكي يخلصوا أن يعملوا بهذه الشرعية، ويمارسوا فريضة الختان أو التطهير. وهذا ما كان قد علم به بعض المعلمين من أصل يهودي، الذين هاجموا الرسول بولس شخصيا.

فردّ عليهم بولس مؤكدا أن المخلص المسيح قد دعاه شخصيا وأعلن له رسالة الإنجيل، وأن الرسل أفرزوه رسولا للأمم. وأكد أن الإنسان يتبرر بالإيمان بالمسيح فقط، وأن المؤمن الذي اتحد مع المسيح بالإيمان في موته، لا بد أن يتحد معه أيضا في قيامته. وتساءل هل حصل المؤمن على الروح القدس بأعمال الناموس أم بالإيمان؟

وعاد الرسول بولس إلى إبراهيم الخليل الذي تبرر بالإيمان وليس بحفظه للشرعية. لا بل إن الله قد وعد إبراهيم أن فيه ستتبارك جميع الأمم، أي سيتبارك كل الذين يؤمنون مثله من الأمم. وفي المقابل أشار الرسول بولس أن كل الذين يعملون بالناموس هم تحت لعنة الله، لأن لا أحد يستطيع تطبيقه بشكل كامل. بينما افتدى المسيح كل من يؤمن من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلهم بموته على الصليب.

ثم قارن الرسول بولس بين موعد الله لإبراهيم وعهد الناموس أو الشرعية فكتب قائلا: "أيها الإخوة بحسب الإنسان أقول ليس أحد يبطل عهدا قد تمكن ولو من إنسان أو يزيد عليه." (غلاطية ٣: ١٥) أراد الرسول بولس القول في هذه الآية المقدسة أنه حتى بمنطق البشر، لا يستطيع أحد أن يلغي عهدا بين إنسان وآخر، أو حتى يضيف عليه أي بند جديد. فكيف إذا كان هذا العهد بين الله والإنسان؟

وهذا ما حصل بالضبط في وعد الله لإبراهيم. إذ تابع الرسول بولس قائلا: "وأما المواعيد فقيلت في إبراهيم وفي نسله. لا يقول وفي الأنسال كأنه عن كثيرين بل كأنه عن واحد وفي نسلك الذي هو المسيح." (غلاطية ٣: ١٦) لقد كان وعد الله لإبراهيم أنه في نسله ستتبارك جميع قبائل وأمم الأرض. أي أنه في نسل أو ذرية إبراهيم ستتبارك كل شعوب الأرض. فمن هو هذا النسل المقصود هنا يا ترى؟

كان الكثيرون يظنون أن النسل المشار إليه في وعد الله لإبراهيم، هو نسله الجسدي من إسحق ويعقوب، أي بني إسرائيل أو اليهود. لكن الله أعلن للرسول بولس أن النسل المقصود هو المخلص يسوع المسيح. وتأكيدا على ذلك أوضح الرسول بولس، أن وعد الله لإبراهيم أن بنسله ستتبارك جميع قبائل الأرض لم يأت بصيغة الجمع. فلم يقل الله أنه بأنسال إبراهيم ستتبارك جميع أمم الأرض، بل بنسله أي بشخص واحد.

إذن إن المسيح المخلص هو النسل الموعود به لإبراهيم، الذي ستتبارك به جميع شعوب الأرض. فقد ولد المسيح من نسل إبراهيم، إذ حُبل به بالروح القدس في أحشاء العذراء مريم، وهي التي كانت من نسل إبراهيم. نعم، لقد أرسل الله كلمته الأزلي المخلص المسيح إلى عالمنا، ليتمم وعده لإبراهيم، وليكون هو الشخص الذي تتبارك به جميع الأمم. وهذا كله تحقق بسبب إيمان إبراهيم، ولا علاقة له بالشرعية أو الناموس.

وأضاف الرسول بولس قائلا: "وإنما أقول هذا أن الناموس الذي صار بعد أربعمئة وثلاثين سنة لا ينسخ عهدا قد سبق فتمكّن من الله نحو المسيح حتى يبطل الموعد." (غلاطية ٣: ١٧) لقد كان وعد الله لإبراهيم، قبل أن يعقد الله عهده مع بني إسرائيل من خلال الناموس، بأربعمئة وثلاثين سنة. فهل أتى هذا العهد أي عهد الناموس لكي يُلغي أو ينقض وعد الله لإبراهيم؟ أجاب الرسول بولس قائلا: بالطبع كلا، فإذا كنا كبشر لا نستطيع أن نلغي عهداً بين إنسان وآخر، فكيف بالله الخالق؟ لقد أقام الله عهده مع إبراهيم، ولن يستطيع عهد الناموس الذي أتى بعدئذ أن يُلغي هذا العهد أو الوعد. أي أن وعد الله لإبراهيم أن بنسله أي بالمخلص المسيح، ستتبارك جميع أمم الأرض لابد أن يتحقق. وفعلا أتى المخلص المسيح وتباركت جميع شعوب الأرض. وكل من يؤمن اليوم بالمسيح ينال هذه البركة.

وختم الرسول بولس هذا المقطع بقوله: "لأنه إن كانت الوراثة من الناموس فلم تكن أيضا من موعد. ولكن الله وهبها لإبراهيم بموعد." (غلاطية ٣: ١٨) لقد وعد الله إبراهيم بالوراثة أي بالبركة على أساس إيمانه، وليس على أساس حفظه للشرعية، التي لم تكن موجودة في عصره. وهذا يثبت أن الإيمان هو الطريق الوحيد لخلاص الإنسان وليس تقيده بناموس الله.

إذا كان تبرير الإنسان وخلصه يرتكزان على أساس الإيمان، فلا بد أن يُطرح السؤال: إذن لماذا أنزل الله الشرعية أو الناموس؟ لقد طرح الرسول بولس نفس هذا السؤال ثم أجاب عنه، إذ كتب قائلا: " فلماذا الناموس؟ قد زيد بسبب التعديت إلى أن يأتي النسل الذي قد وعد له، مرتبا بملائكة في يد وسيط." (غلاطية ٣: ١٩) تساءل الرسول بولس: إذا كان الوعد بالبركة قد أُعطي لإبراهيم بالإيمان، فلماذا إذن عقد الله بعدئذ عهد الناموس مع بني إسرائيل من خلال كلمته النبي موسى؟

أجاب الرسول بولس عن هذا السؤال بقوله، إن الناموس قد أضيف وذلك بسبب المعاصي. وهذه نقطة مهمة جدا علينا جميعا أن ندرك معناها. فقد كان من المستحيل أن يترك الله الإنسان هكذا من دون قانون أخلاقي. فقد كان الله يعلم أنه ستوجد فترة زمنية طويلة، وهي التي امتدت حوالي ألفي سنة، بين وعده لإبراهيم ومجيء المخلص المسيح تحقيقا لهذا الوعد. فهل يترك الله الإنسان وشأنه دون أن يحدد له قواعد السلوك؟

ففي الناموس أو الشريعة أعلن الله القانون الأخلاقي الذي يريد من الإنسان أن يسير بموجبه. فقال له مثلا إن عليه أن يعبد الرب الله ويسجد له. وأن لا يصنع له تمثالا منحوتا ولا صورة ما، ولا يسجد لهنّ ولا يعبدهنّ. ودعاه لكي لا ينطق باسم الرب إلهه باطلا، وأن يحفظ يوما في الأسبوع للراحة، وأن يُكرم أباه وأمه. وحرّم الله القتل، والزنا، والسرقه، وشهادة الزور، وشهوة بيت القريب وزوجته وكل ما يملك.

لكن الله في نفس الوقت كان يعلم استحالة قدرة الإنسان على التقيد بهذا القانون. أي أراد الله بهذا القانون أن يكتشف الإنسان حقيقة طبيعته الخاطئة الفاسدة، ومدى عجزه عن إرضاءه. ولهذا كتب الرسول بولس قائلا: "فإننا نعلم أن الناموس روعي وأما أنا فجسديّ مبيع تحت الخطية. لأنني لست أعرف ما أنا أفعله إذ لست أفعل ما أريده بل ما أبغضه فأياه أفعل.. فالآن لست بعد أفعل ذلك بل الخطية الساكنة فيّ." (رومية ٧:٤ و١٧، ١٥) وبتعبير آخر لقد عرف الإنسان من شريعة الله مدى قداسة الله، والقواعد التي يريد منه الله أن يسلك بموجبها. لكنه اكتشف في نفس الوقت أنه إنسان مكبل بقيود الخطية، ولا يستطيع السير بحسب هذا الناموس. ولهذا قال الرسول بولس أن الناموس قد زيد أو أضيف بسبب التعديات، أي لكي يُظهر الله للإنسان معاصيه وآثامه. وهذا الذي حصل بالضبط إذ لولا شريعة الله لما عرف الإنسان أنه خاطئ وبحاجة إلى خلاص الله.

أجل يا صديقي إننا جميعا خطاة ونستحق دينونة الله. لكن الله أعد لنا طريقا للنجاة بواسطة المخلص يسوع المسيح، الذي مات على الصليب ليكفّر عن خطايانا وليهبنا الغفران والخلود. فهل تراك تؤمن بهذا المخلص الفريد؟